مالي أراك على الذنوب مواظب

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم , الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين وأشهد أن لا إله إلاالله وحده لا شريك له رب العالمين وإله المرسلين وقيوم السموات والأرضين وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث بالكتاب المبين الفارق بين الهدى والضلال والغي والرشاد والشك واليقين

أما بعد ـ

نتواصل مع هذه المقتطفات من كتاب الإمام ابن القيم " بحر الدموع"

كتب بن القيم رحمه الله, إخوتاه، الى كم هذه الغفلة وأنتم مطالبون بغير مهلة ؟ فبالله عليكم، تعاهدوا أيامكم بتحصيل العدد، وأصلحوا من أعمالكم ما فسد، وكونوا من آجالكم على رصد، فقد آذنتكم الدنيا بالذهاب، وأنتم تلعبون بالأجل وبين أيديكم يوم الحساب. آه من ثقل الحمل.. آه من قلة الزاد وبعد الطريق.

فيا أيها المغرور باقباله، المفتون بكواذب آماله، الذي غاب عن الصواب، وهو في فعله كذاب.

يا بطال، الى كم تؤخر التوبة وما أنت في التأخير بمعذور؟ الى متى يقال عنك: مفتون ومغرور ؟ يا مسكين، قد انقضت أشهر الخير وأنت تعد الشهور ؟ أترى مقبول أنت أم مطرود ؟ أترى مواصل أنت أم مهجور ؟ أترى تركب النجب غدا أم أنت على وجهك مجرور ؟ أترى من أهل الجحيم أنت أم من أرباب النعيم والقصور. فاز، والله، المخفون، وخسر هنالك المبطلون، ألا الى الله تصير الأمور.

مالي أراك على الذنوب مواظبا أأخذت من سوء الحساب أمانا
لا تفغلن كأن يومك قد أتـــى ... ولعل عمرك قد دنا أو حانـــا
ومضى الحبيب لحفر قبره مسرعا ... وأتى الصديق فأنذر الجيرانا
وأتو بغسّال وجاؤوا نحـــــوه ... وبدا بغسلك ميتا عريانـــــا
فغسلت ثم كسيت ثوبا للبلـــى ... ودعوا لحمل سريرك الاخوانا
وأتاك أهلك للوداع فودّعـــوا ... وجرت عليك دموعهم غدرانـا
فخف الاله فانه من خافـــه ... سكن الجنان مجاورا رضوانـــا
جنات عدن لا يبيد نعيمهـــا ... أبدا يخالط روحه ريحانـــــا
ولمن عصا نار يقال لها لظى تشـــوى الوجوه وتحرق الأبدانا
نبكي وحق لنا البكاء يا قومنـــــا كي لا يؤاخذنا بما قد كانا

جاء في الأثر أنه اذا كان ابن آدم في سياق الموت، بعث الله اليه خمسة من الملائكة :

أما الملك الأول ، فيأتيه وروحه في الحلقوم، فيناديه : يا ابن آدم، أين بدنك القوي ؟ ما أضعفه اليوم ؟ أين لسانك الفصيح ؟ ما أسكته اليوم ؟ أين أهلك وقرابتك ؟ ما أوحشك منهم اليوم .!

ويأتيه الملك الثاني اذا قبض روحه، ونشر عليه الكفن، فيناديه : يا ابن آدم، أين ما أعددت من الغنى للفقر ؟ أين ما أعددت من الخراب للعمران ؟ أين ما أعددت من الأنس للوحشة ؟.

ويأتيه الملك الثالث اذا حمل على الأعناق، فيناديه : يا ابن آدم، اليوم تسافر سفرا بعيدا لم تسافر سفرا أبعد منه، اليوم تزور قوما لم تزورهم قبل هذا قط، اليوم تدخل مدخلا ضيقا لم تدخل أضيق منه، فطوبى لك ان فزت برضوان الله، وويل لك ان رجعت بسخط الله.

ويأتيه الملك الرابع اذا ألحد في قبره فيناديه: يا ابن آدم، بالأمس كنت على ظهرها ماشيا، واليوم صرت في بطنها مضطجعا. بالأمس كنت على ظهرها ضاحكا، واليوم أصبحت في بطنها باكيا. بالأمس كنت على ظهرها مذنبا، واليوم أمسيت في بطنها نادما.

ويأتيه الملك الخامس اذا سويّ عليه التراب، وانصرف عنه الأهل والجيران والأصحاب، فيناديه: يا ابن آدم، دفنوك وتركوك، ولو أقاموا عندك ما نفعوك. جمعت المال وتركته لغيرك. اليوم تصير اما لجنة عالية، أو الى نار حامية .

ويروى عن بعض المتعبدين أنه قال : الهي عصيتك قويا، وأطعتك ضفيفا، وأسخطتك جلدا، وخدمتك نحيفا، فيا ليت

شعري، هل قبلتني على لؤمي، أم صرفتني على جرمي؟ قال: ثم غشي عليه ووقع على الأرض وانسلخت جبهته.
فقامت اليه أمه، وقبّلته بين عينيه، ومسحت جبهته وهي تبكي وتقول: قرّة عيني في الدنيا، وثمرة فؤادي في الآخرة، كلم عجوزك الثكلى، وردّ جواب أمك الحريّ.

قال: فأفاق الفتى من غشيته، ويده قابضة على كبده، وروحه تتردد في جسده، ودموعه تنسكب على خده ولحيته، فقال لها: يا أماه، هذا اليوم الذي كنت تحذريني منه، وهذا هو المصرع الذي كنت تخوّفيني منه، هذا مصرع الأهوال، وسقوط عثرة الأثقال، فيا أسفا على الأيام الخالية، ويا جزعي من الأيام الطوال التي لم أعرّج فيها على الاقبال.
يا أماه أنا خائف على نفسي أن يطول في النار سجني وحبسي. يا حزناه ان رميت فيها على رأسي، ويا أسفاه ان قطعت فيها أنفاسي.
يا أماه، افعلي ما أقول لك.
فقالت له: يا بنيّ، فدتك نفسي، ماذا تريد ؟.
قال لها: ضعي خدي على التراب حتى أذوق طعم الذل في الدنيا، والتلذذ للسيّد المولى، عسى أن يرحمني وينجيني من نار لظى. قالت أمه: فقمت اليه في الحال، وقد ألصق خده بالتراب، والدموع تجري من عينيه كالميزاب، فاذا هو ينادي بصوت ضعيف :هذا جزاء من أذنب وعصى، وهذا جزاء من أخطأ وأسا، هذا جزاء من لم يقف بباب المولى، هذا جزاء من لم يراقب العلي الأعلى.
قالت: ثم تحوّل الى القبلة، وقال: لبيّك لبيّك، لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين.
قال: ثم مات في مكانه، فرأته أمه في المنام كأن وجهه فلقة قمر تجلى من سحاب، فقالت له: يا بنيّ، ما فعل بك مولاك ؟ قال: رفع درجتي، وقرّبني من محمد صلى الله عليه وسلم، فقالت له أمه: يا بنيّ، ما الذي سمعت منك تقوله عند وفاتك ؟ فقال لها : يا أماه، هتف بي هاتف وقال لي: يا عمران، أجب داعي الله، فأجبته، ولبيّت ربي عز وجل.
رحمه الله تعالى. ونسأل الله لنا ولكم حسن الخاتمة

كاتب المقالة : منقول
تاريخ النشر : 23/10/2010
من موقع : موقع الشيخ الدكتور/ محمد فرج الأصفر
رابط الموقع : www.mohammdfarag.com